القبـــلة . . .

للقصصي الإسباني (بلاسكو إبانيز)

بقلم الأديب فؤاد الونداوى

كان فى أحد السجون — وانفغل ذكر اسمه — مجرم خطر شرس الطبع غليظ القلب فظ الخلق . ومع أن الإنسان لا يأمل أن يجد فى مثل هذه الأماكن أناساً ورعين يشيع الصلاح فى نفوسهم ، فإن بين الأربعمائة سجين الذين ضمهم ذلك السجن ، كان هذا السجين أكثرهم صلفاً وأشدهم شراسة .

نعته القوم باسم « الذئب » وكان قد قارب الستين من عمره، صرف اثنين وأربعين عاماً منه فى غياهب السجون . فهو منذ شب افتتح حياته بالتنقل من سجن إلى آخر تارة بتهمة السرقة، وطوراً بتهمة القتل وما إلى ذلك من جرائم .

ولئن حاولنا أن نعدد الجرائم التى ارتكبها والآثام التى اقترفها، لشق علينا ذلك . وحسبنا أن نقول بأنه كان قد حكم عليه آخر مرة بالسجن مدة هى أضعاف ما تبقى له فى جعبة الزمن من عمر ، فقد كانت جريمته الأخيرة من أفظع الجرائم وأشدها قسوة ووحشية.

كان وحشاً كاسراً يميل إلى الأذى ويجنح إلى الشر لأتفه الأسباب . ولذلك تحاشاه نزلاء السجن ولم يجرؤوا على الإقتراب منه ، ولكم ركل غير مرة كل من دنا منه ، أو وخزه — على الأقل — بإبرة الحياكة التى لا تفارق يده ، فقد كانت حياكة القفافيز مهمته التى تشغله عن كل شىء حواليه .

كان وحشاً ضاريا ، وهو فى وحشيته أشد بطشاً من أولئك القتلة المتعطشين لشرب الدماء ، الذين يحاكون أشرس الكواسر طبعاً وأفظع السباع فتكا .

ولقد اعتاد « الذئب » أن يمضى الأيام والأسابيع ، جالساً فى قاع السجن ، منهمكا فى العمل الذى بين يديه ، وقد انكب عليه بكليته ، فانحنت هامته بعض الشىء من جراء ذلك الإنكباب وكان يكسو رأسه شعر أسود فاحم لم يخطه الشيب ، أما لحيته — التى تركها موظفو السجن وشأنها دون قص ولا تهذيب — فقد كانت كثة شعثاء وكانت عيناه مخيفتين يتطاير منهما الشرر ، ونظراته مفزعة مرهبة تنذر أبداً بالويل والوعيد .

وكان قوى الجسم — رغماً عن بلوغه العام الستين من حياته — مفتول الساعد ، ذا عقل قوى طالما كان مصدراً لرعب الناس وقلقهم

كان دائماً صامتاً ساكناً ، لا يتحدث إلى أحد ، ولا يشارك السجناء فى فكاهاتهم وهزلهم السافل . وكان صمته هذا يبعث بالمهابة والخوف فى قلوب الجميع ، فكان إذا ما رفع بصره وألقى نظره على بعض من حواليه ، ازور هؤلاء بوجوههم عنه ، ورفعوا أبصارهم إلى السقف ، كيلا تلتقى عيونهم بنظراته النافذة الرعبة

وحدث أن تقلد إدارة السجن حاكم جديد ، تحدث القوم عن صرامته وشدة بأسه ، وأوغل البعض فى المبالغة فى وصف حزمه وقساوته ، فطفق السجناء يرمقون الذئب بنظرات شزرة ذات مغزى دفين ، واسترسلوا فى تمتمة خافتة دون ما داع أو سبب

وكان للحاكم الجديد بنت صغيرة جميلة تدعى « أدورا » لم تتجاوز الخامسة من عمرها . وفى أحد الأيام اصطحبها أبوها إلى السجن ، للتفرج على المساجين ، وبينما كان أبوها يقوم بتوزيع الأرزاق على المساجين ، كانت هى تمرح بينهم غير هيابة ولا وجلة تتحدث إليهم بلباقة ورقة ، وتوزع بينهم ابتساماتها العذبة وكلماتها الرقيقة . وكان المسجونون يضحكون لها ويبشون فى وجهها ، وكان بعضهم يرجوها فى أن تشفع له عند أبيها ، بينما لم يتورع البعض الآخر من تمنيها بقارص الكلام وفاحش القول

وفى زاوية قصية فى السجن ، انتبذ الذئب مكاناً ، وقد أسند ظهره إلى الحائط — بعد أن ترك نصف طعامه إلى جانبه مهملا — واستغرق فى الحياكة بسرعة تدير الرأس .

كان رأسه متدلياً إلى أسفل ، عندما اتجه إليه الحاكم وابنته ولم يرفعه حتى أصبحا على قيد خطوات منه ، فاكتفى بأن حدجهما بنظرة من زاوية عينيه . وهمت الطفلة أن تقترب منه فنهاها أبوها فبادرته قائلة:

— أريد أن أدنو منه وأنظر إليه ! فأجابها أبوها بصرامة :

— لا . إنه جد خطر . . إنه مجرم أثيم . . حذار يا بنيتى أن تقتربى منه فقد تصيبك ضربة من يده ...

— أنظر يا أبتى ! انظر إليه . . انظر كيف يحدجنا بنظراته أواه إنه يحوك قفازاً كذلك »

— هو يفعل ذلك دائماً . . لقد حذرنى الحاكم السابق منه

وقال إنه شديد الخطر وقد أمضى معظم حياته فى السجون ، وله فى هذا السجن ثلاثون عاماً » فشهقت الطفلة وقالت :

— ثلاثون عاماً ؟! أواه ! إنه مسكين ... يا له من مسكين ! »

وما كاد الذئب يسمع كلمة (مسكين) حتى رفع بصره وعلق عينيه بوجه الطفلة دون أن يتوقف عن الحياكة . وأراد الحاكم أن يصرف ابنته عن هذا الموقف ، ولكنها اندفعت فجأة مسرعة نحو الذئب وهى تهتف : إننى ذاهبة لأقبله » ثم أقدمت على ذلك فى الحال ، فاقتربت من الذئب وطبعت على وجهه قبلة بريئة دون اشمئزاز وخاطبته برقة : إليك هذه القبلة ، ولا تكن مجرماً بعد اليوم ! »

وارتاع الذئب من هول هذه المفاجأة الغريبة ، وكاد يصعق ، ولكنه استطاع أن يحبس صوته . فندت من حنجرته آهة تشبه الحشرجة أو هى شبيهة بجرس ذلك الصوت الذى يخرجه الأخرس عندما يحاول الكلام فلا يقدر عليه . وغادر الحاكم وابنته المكان وقبل أن يدركا الباب المؤدى إلى غرفة الحاكم ، التفت المجرم إليهما وشيعهما بنظراته . ومرت الظهيرة وتلتها الأمسية فدلف الذئب إلى زاويته وكأنه وحش يعود إلى وجاره . وتقضت أيام وأعقبتها شهور ، والسجن هادىء لا يوحى مظهره بشىء يسترعى النظر . وفى يوم

وفى يوم من أيام « يوليو » هاج البحر وماج ، فاصطخبت أمواجه وكان يسمع لها دوى هائل وصفير مزعج يصم الآذان فى داخل السجن ، فهاج السجناء وشرعوا يحاكون العاصفة بصخبهم وضجيجهم ، وتعالت أصواتهم تعلن التمرد والاستنكار ، ثم حل وقت الغذاء فأضربوا عن تناول الطعام ... وأخيراً انفجرت الثورة التى حيكت مؤامرتها فى الخفاء ، وارتفعت أصوات الثائرين فى قاع السجن من كل جانب : فليسقط الرؤساء ... فليسقط الحاكم ... » وهب الحاكم مذعوراً ووثب من غرفته كالنمر المحصور ، بعد أن أغلق الباب على ابنته لكيلا تلحق به فتتعرض لسوء ، ثم اتجه إلى ساحة السجن ولكنه ما كاد يدخلها حتى اعترض طريقه وجهاً لوجه ثلاثمائة سجين ، كانوا قد تسلحوا بملاعقهم الخشبية بعد أن سنوا أطرافها ، فغدت حادة تبلغ من الأجسام ما تبلغه منها المدى والدبابيس . فشهر الحاكم مسدسه فى وجوههم وأطلق عياراته الستة على المتمردين ، وبينما كانت الرصاصة السادسة والأخيرة تغادر فوهة المسدس ، شاهد غولا حقيقياً مخيفاً ، رجلا أشعث الشعر أغبره كبير الرأس أشبه شىء برأس الدببة ، وهو يناديه بصوت مرتفع : لا تخف ! أنا قادم لنجدتك » .

وأقبل الذئب نحو الحاكم مسرعاً ، فأمسكه من وسطه وقذف به إلى الحائط ، ثم وقف أمامه يحميه بجسمه الضخم من ضربات الثائرين ، وما عتم أن أشهر بيمناه سكيناً لم يعلم أحد من أين أتى به ، وصار يواجه بها الأعداء ويرد ضرباتهم ويطعنهم طعنات عجلا يحسن تصويبها ، فتعدد الصرعى وكثر المصابون وأخيراً خف الحرس لنجدة الحاكم ، وبعد أن انتهى الشغب وساد الهدوء وعادت السكينة وخرج الحاكم سالماً ، سقط الذئب مجندلا على الأرض مثخناً بجراحه ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . فحمله الحرس إلى مخدع الحاكم وأرقدوه على فراش وثير كان أول فراش اضطجع عليه طيلة عمره البائس .. تمدد الذئب هناك وطفق يدير بصره حوله بلهفة ظاهرة كمن يفتقد شيئاً عزيزاً . وظل مستلقياً على الفراش وهو بين الحياة والموت ، حتى مثل الحاكم أمامه ، فقال بصوت خافت يتضوع أسى ، وهو ينظر إلى ملامح الرجل الذى أنقذ حياته بيده : الطفلة ! الطفلة .. وفطن الحاكم إلى قصده ، ثم فكر ملياً فأدرك السبب الذى حمل الذئب على أن يذود عنه بنفسه ويحميه بجسمه . أجل ! إنها القبلة التى دفعته إلى هذا حتماً ! وهرول الحاكم إلى الغرفة التى حبس فيها ابنته ، وقد نسى أن يفتحها بعد انتهاء العاصفة ، فألفى الطفلة تصرخ وتستغيث ، فطوقها بذراعيه وضمها إلى صدره ، وذهب بها إلى الغرفة التى تمدد فيها الذئب وهو يعانى آلام النزع الأخير وكان الذئب يحدق فى الفضاء ، ويرسل نظراته الشاردة ذات اليمين وذات الشمال ؛ إنه لا يزال لديه متسع من الوقت لكى يرى فيه ذلك المخلوق الوحيد الذى حنا عليه ورق له ، لم يزل له من الوقت ما يكفيه لأن يقول لذلك المخلوق المحبوب : أخرى . أجل ! قبلة أخرى ! » رفع الأب ابنته بين ذراعيه ودنا بها من الذئب وسمع الحاضرون صوت قبلة تردد صداها المنعوم فى أرجاء الغرفة . قبلة ملائكية من شفتى طفلة ، طبعتها على ذلك الوجه المتعوض الذى جارت عليه عوادى الدهر وصروف الحدثان ووسمته لعنة المصائب والأهوال بميسمها الذى لا يمحى . وعندما قدم القس ، وأخذ يرتل صلواته أدعيته ، وقد حمل بيديه الزيوت المقدسة ، كان الحاكم والحراس قد جثوا على ركبهم ، أمام الجثة فى خشوع ، وقد غشى المكان صمت رهيب . وكانت الطفلة ترتل — بإيماز من أبيها — بصوتها العذب الطاهر الحنون : أى أبانا الذى فى السموات .. ليتقدس إسمك وليقدم ملكوتك .. »

فؤاد الرهنداوى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق وقد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة